

الخطط العسكرية للقائد خالد بن الوليد (رضي الله عنه) في معركتي

ذات السلاسل و الولجة

بحث مقدم من قبل

المدرس المساعد
أحمد طارق حمودي
كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

المقدمة :-

تعد الكتابة عن الجهد العسكري العربي الإسلامي من الدراسات المهمة والقيمة لأنها تسلط الضوء على ماضي الأمة المشرق الذي يمكن من خلال دراسته بناء حاضر الأمة بناءً صحيحاً ورسم مستقبلها على وفق أسس صحيحة نابعة من دراسة ماضي الأمة المشرق فضلاً عن إبراز العوامل التي مكنت الأمة من النهوض ومواجهة التحديات المصيرية التي تعاني منها امتنا العربية الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل و على الرغم مما كتب عن القائد خالد بن الوليد فإنه يظل نبعاً متدفقاً يرفد

بالكثير من الموضوعات التي يمكن الاستفادة منها في ارتقاء الإنسان العربي المسلم للانتقال بالأمة إلى الأفضل .

أن خالداً (رضي الله عنه) عقلية عسكرية إسلامية فذة حتى أن الرسول (ﷺ) شهد له برجاحة العقل ومعرفة الحق من الباطل حيث قال عنه (ما مثل خالد من جهل الإسلام) ونظراً لما يتمتع به خالد من مزايا عسكرية فذة فإن الرسول (ﷺ)، (لو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدمناه على غيره) (١).

حيث كان خالداً (رضي الله عنه) من فرسان بني مخزوم وكانت الأعنة بأيديهم ، (الأعنة هي قيادة الفرسان بالحرب) (٢)، وقد سماه الرسول (ﷺ) بسيف الله وذلك بعدما سمع بأخبار معركة مؤتة حيث قال عنه (نعم عبد الله أخر العشيرة وسيف من سيوف الله سل الله على الكفار والمنافقين) (٣) أما أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال عنه (ما كنت لاشيم (أي اخمد) سيفاً سله الله على الكافرين) (٤) وفي رواية انه قال (... سمعت عبدك وخليك يقول لخالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين) (٥) وعلى الرغم مما كتب عن القائد خالد بن الوليد فانه يظل نبعاً متدفقاً يرفد الإنسان العربي المسلم بالكثير من الموضوعات التي يمكن الاستفادة منها في الارتقاء بالأمة نحو الأفضل . ويكفي قول الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما حضرته الوفاة قال (لو أدركت خالداً لوليته الخلافة من بعدي) (٦) وقال عنه اكيدر بن عبد الملك وهو من زعماء عرب دومة الجندل (أنا اعلم الناس بخالد لا أجد ايمن طائراً منه ولا أجد في حرب ولا يرى وجه خالداً قوم أبداً قتلوا أو كثروا ألا انهزموا عنه) (٧) من كل ما تقدم كان دافعاً لي لا تشرف بالكتابة عن بطل عربي مسلم قلَّ

نظيره في الإنسانية جمعاء بما يحمله من خلق الفاتحين المحررين وبما يحمله من انضباط عسكري عال وعقليه فذة إلى حد الأعجاز حيث نجح في تعجيز وهزيمة أقوى جيشين في العالم في ذلك الزمان الجيش الساساني في العراق والجيش البيزنطي في بلاد الشام وأخذت الكتابة عن خططه العسكرية في معركتي ذات السلاسل والولجة بما فيها من دروس وعبر يمكن الاستفادة منها في معارك الأمة المصيرية مع أعدائها حيث الجهاد باق حتى قيام الساعة وتضمن البحث ثلاثة مباحث الأول تناول بدأ عمليات تحرير العراق والمبحث الثاني خطة خالد العسكرية

في معركة ذات السلاسل وتناول المبحث الثالث الخطط العسكرية في معركة الولجة .

المبحث الأول : بدء عمليات تحرير العراق

منذ تولي الخليفة الصديق ﴿ع﴾ مقاليد الخلافة وضع نصب عينيه تحرير العراق وبدأت العمليات العسكرية في هذا الجزء الحيوي بأمر منه وتحديدًا بعدما نجحت جيوش الخلافة في القضاء على المرتدين في الجزيرة العربية حيث بدأ النشاط العسكري لجيوش الخلافة خارج الجزيرة العربية واعتبرت بلاد فارس وبلاد الروم دار حرب ^(٨) . وتجدر الإشارة إلى أن عمليات تحرير العراق قد بدأت قبل عودة خالد ﴿ع﴾ من قتال المرتدين حيث ذكر ابن الأثير ذلك بقوله (وكان المثنى بن حارثه الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو العراق فأذن فكان يغزوهم

قبل قدوم خالد^(٩) وكان الفاروق^(١٠) من جملة من أشار عليه باختيار خالد بن الوليد لهذه المهمة حيث قال (هذا خالد قد فتح الله عزوجل على يديه اليمامة فاكتب إليه ومره بالمسير إلى العراق حتى يطأ لك الفرس بخيله ورجله)^(١١) وقد استحسّن الصديق^(١٢) هذا الرأي و أرسل على الفور رسولا إلى خالد^(١٣) وهو باليمامة* يأمره بالمسير إلى العراق وذهبت بعض الروايات التاريخية إلى القول بأن خالد^(١٤) قدم المدينة المنورة من اليمامة فسيره أبو بكر (رضي الله عنه) إلى العراق ومهما اختلفت الروايات فإن الحقيقة هي إصرار الصديق على تحرير العراق من السيطرة الفارسية ووضعها نصب عينيه فوجه خالد^(١٥) مدداً للمثنى بن حارثة الشيباني^(١٦)

وجعل القيادة لخالد لما يعرف عنه من صفات القيادة ومما يحمله من خلق الفاتحين المحررين وطلب من المثنى أن يكون تحت أمرته وان يكون هو ومن معه من المقاتلين سنداً وعوناً وألا يقضى أمراً إلا بمشورته ولا يخالفه في رأي مادام معه فان تفرق فيكون المثنى صاحب الرأي والمشورة بين جنده وقد مدح الصديق خالداً (رضي الله عنهما) بقوله (انه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه تراهم ركعاً سجداً) * فما أقام معك فهو الأمير فان شخص عنك فأنت علاماً كنت عليه والسلام عليك^(١٧) ، و أمد الخليفة الصديق خالداً (رضي الله عنهما) بالقعقاع بن عمرو التميمي وأمرهما هو والمثنى أن يستنفرا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله^(ﷺ) ولا يغزوا معكم أحد حتى أرى رأي فلم يشهد الأيام مرتد^(١٨) وهذه استراتيجية فذة تدل على رؤية ثاقبة للأمور اعتمدها

الصديق^(١٩) لانه رأى بثاقب بصيرته أن قتال الفرس يحتاج إلى مقاتلين صادقين ثابتي العقيدة ومستعدين للشهادة في سبيل الله ونشر عقيدة الإسلام وقد أثبتت الوقائع على الأرض صواب رأيه فلم تهزم جيوش المسلمين في أي معركة وكان النصر حليفهم بإذن الله على الدوام ولم تكن هذه هي الاستراتيجية الوحيدة بل

كان الصديق^(٢٠) هو قائد الميدان على الرغم من وجوده في المدينة المنورة حيث كتب إلى خالد (رضي الله عنهما) أن يدخل العراق من أسفلها وإلى عياض بن غنم من أعلاه ثم يستبقا إلى الحيرة فأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه وقال إذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن^(٢١) وقد نجح

خالد^(٢٢) في تحرير العديد من مدن وقرى العراق ومنها بزند ورد من كسكر ودرتي وذواتها بأمان بعد أن كانت من أهل زند ورد مراماة للمسلمين ساعة واتى هرمز جرد فامن أهلها أيضاً وفتحها واتى أليس * فخرج إليه جابان عظيم العجم فقدم إليه المثنى بن حارثة الشيباني فلقية بنهر الدم وصالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على الفرس وأذلاء وأعوانا واقبل خالد إلى مجتمع الأنهار فلقية أرذابه صاحب مسالح كسرى فيما بينه وبين العرب وجرت بينهما

معركة انتصر فيها المسلمون وهزم الفرس ثم نزل خالد خفان* ونجح في مصالحة أهل الحيرة على مئة ألف درهم وقيل ثمانين ألف درهم في كل عام وان يكونوا عيوناً للمسلمين على أهل فارس^(١٥)* وتشير المصادر إلى أن هذه العمليات بدأت في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ وشكلت نصراً حاسماً للمسلمين وخطوة متقدمة على طريق تحرير العراق وكانت سياسة خالد عليه السلام في تحرير هذه المناطق تنفيذاً لتوجيهات الصديق عليه السلام في رسائله التي أرسلها له بضرورة استخدام الأسلوب السلمي ليتألف أهل العراق أهل فارس وعرب العراق وعلى وفق هذا المنهج نجح خالد عليه السلام في إتاحة الفرصة لبقية مناطق العراق للحدو على ذات الأسلوب الذي بادر إليه أهل الحيرة وبانيقيا وبروسما وشكل ذلك نقطة انطلاق لتحرير بقية المناطق^(١٦) وقد حرص خالد عليه السلام في توثيق هذا الصلح^(١٧) و أرسل إلى هرمرز رسالة يدعو فيه إلى الإسلام والدخول في مفاوضات سلمية مع الحرص على تأكيده في إظهار جانب القوة والعزيمة على تحقيق الهدف في ما لو فشلت المساعي السلمية ومما جاء في الرسالة قوله ((اسلم تسلم واعقد لنفسك ولقومك الذمة وافر الجزية و إلا فلا تلومن الا نفسك فقد جاتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة))^(١٨) أن رفض هرمرز للصلح مع خالد دلل على همجية الفرس وعنجهيتهم وقد أوصلهم الاستكبار والاستهانة بغيرهم إلى حتفهم وكان ذلك إيذاناً بزوال ملكهم .

المبحث الثاني

خطة خالد العسكرية في معركة ذات السلاسل

اولاً - الطريق إلى المعركة

حرص خالد بن الوليد على استخدام أكثر من طريق للوصول إلى ساحة المعركة قسم جيشه إلى ثلاث فرق متوخياً أموراً عدة :

١- لأنه إذا جاء بكامل جيشه المعركة بطريق واحد فان ذلك سينهك قواته ويستغرق زمناً أطول إذا تحرك الجيش بكامله على طريق واحد وبذلك أمن استراتيجية مهمة هي سهولة الحركة والتنقل وسرعة الوصول إلى الهدف .

٢- جعل خطوط حركتها متقاربة^(١٩) يتمكن من خلال ذلك من تأمين الإسناد المتبادل للارتال في حالة تعرضها من قبل العدو .

٣- جعل لها مثابة متفق عليها تجتمع فيها جميع الارتال وتتجمع ثانية للبدء بخطة جديد عند الحفير .

٤- تجدر الإشارة الى ان خالد (عليه السلام) استخدم طريقاً لم يكن مألوفاً لديهم ولم يشكل خطراً عليهم لانهم اعتادوا الخطر من الشمال وليس من الجنوب وان مسالح العدو لم تكن بالكثافة التي كانت عليه مسالحها في الشمال ولم تكن مستعدة ذلك الاستعداد المادي أو المعنوي للمواجهه

٥- كما أن جنوب العراق هي امتداد طبيعي لارض الجزيرة العربية وخالية إلى حد ما من العوائق الطبيعية لذلك جعلها خالد في ظهره لتأمين الانسحاب المنظم والسفر في حالة وقوعها تحت ضغط العدو وهذا النوع من القتال تجيده القطعات العربية الإسلامية والذي يعتمد على سرعة الحركة وخفة التجهيز .

٦- كما انه نجح في حرمان العدو من عنصر المطاردة لقلة خبرته في الصحراء لذلك نجح خالد في استغلال نقاط الضعف التي يعاني منها الفرس في جنوب العراق ونجح في قتل هرمز قائد الفرس في أول مواجهة عسكرية معه

٧- ولا بد من الإشارة إلى أن خالد (عليه السلام) اخذ بنظر الاعتبار أن الغارات العربية الإسلامية التي شنّها المثنى على الفرس لعبت دوراً في ضعف القوة الساسانية في تلك المنطقة.

٨- أن سلوك هذا الطريق أوقع الفرس في حيرة حيث أن الطريق إلى الأبله * يقع عبر كاظمة فتحرّكت الجيوش الفارسية تجاه كاظمة متوقعاً سلوك

خالد (عليه السلام) هذا الطريق وعند وصوله إلى كاظمة فتح جيشه ورتبه على وفق الخطط العسكرية الفارسية حيث يتكون من قلب وجناحين و أمر أن يربط الرجال بالسلاسل منتظراً وصول خالد وهو على تشكيل المعركة وقد فوجئ في اليوم التالي بخبر من العيون والكشافين بان خالد يتوجه نحو الحفير وقد وقع الفرس في مصيدة خالد حيث كان قد أعد الخطة لهذا اليوم لانه يعرف مزايا جيش فارس وقوتها العددية واخذ بنظر الاعتبار بشجاعة الجندي الفارسي ومهارته وتسليحه الجيد وبما أن جيش الفرس يعتمد على المعدات الثقيلة فان حركته من الأبله إلى الحفير بهذه المسافة الطويلة ستجعله مسلكاً وسيصل بروح معنوية منهارة في الوقت الذي سيواجه فيها قوات مهيئة للهجوم وتمتلك من الشجاعة والأقدام والاستعداد للشهادة فضلاً عن الذكاء والبراعة والخفة والقدرة على الانسحاب في عمق الصحراء وقد أضافت لهم معارك الجزيرة العربية

والقضاء على أهل الردة شيئاً كثيراً من الخبرة القتالية كما انه نجح في تهيئة ثمانية عشر ألف مقاتل على استعداد لدخول المعركة فوراً ولا بد من الإشارة إلى أن تحرك القطاعات الفارسية من كاظمة إلى الحفير بمسافة خمسين ميل يدخلون مباشرة في معركة ضارية مع العرب المسلمين أمرا جعل هرمرز في موقف لا يحسد عليه وما أن وصل هرمرز بجيشه إلى الحفير لم يجد أثرا لخالد ففتح جيشه لمعركة متوقعا وصول المسلمين إلى الحفير كما فعل في كاظمة ففوجئ من قبل كشافته بأن خالد يتوجه إلى كاظمة فحزم هرمرز حقائبه وانطلق إلى كاظمة مرة أخرى وقطع خمسين ميلاً أخرى وجيشه منهك ومتعب وحصل تدمير في صفوف الفرس وخاصة العرب منهم ووصل الجيش إلى كاظمة في حالة يرثى لها من الإعياء في الوقت الذي قرر هرمرز فتح جيشه قلب وجناحين وكان على يمينته وميسرته أميران من بيت الملك قباذ وانوشجان وهما أولاد اردشير الملك وقد أكثر هرمرز من استعمال السلاسل لربط ثلاثة جنود أو خمسة أو سبعة أو عشرة وكانت بمثابة مصدر قوة للجيش وكان هؤلاء الجنود بمثابة انتحاريون في الجيش الساساني في الوقت الذي تمنع الجيش المقابل من اختراق صفوفهم خصوصاً من قبل الخيالة ولذلك سميت هذه المعركة بذات السلاسل حيث نجح خالد (عليه السلام) في استغلال هذه الثغرة القتالية في الاستراتيجية الفارسية في هذه المعركة استغلالاً رائعاً وحقق النصر في أول معركة مع الفرس وقتل قائدها هرمرز وهزم جيوشه هزيمة منكرة.

ثانياً:- الانضباط العالي واختيار المقاتلين

تميزت شخصية خالد بن الوليد (عليه السلام) العسكرية بالانضباط العالي وإطاعة أوامر القيادة بشكل فريد ميزه عن غيره من القادة العسكريين وكان ذلك مراعاة لرضى القيادة العسكرية عنه من جهة ومن جهة أخرى فإنه كان ينظر إلى الأمور نظرة ثاقبة ويحسب لكل خطوة حسابها لأنه كان حريصاً على تحقيق النصر في هذه المعركة الفاصلة باعتبارها أول مواجهة بين الحق والباطل و أول صدام مسلح بين القوة العربية الإسلامية والقوة الفارسية وتترتب عليها نتائج مهمة فحاول استخدام كل الطرق التي تحقق النصر فوضع نصب عينيه توجيهات القيادة العليا (الخليفة أبو بكر الصديق (عليه السلام)) الذي أمره بقوله (ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأي فلم يسمح بدخول أي مقاتل ارتد ثم عاد إلى الإسلام خوفاً من بقية مرض في نفسه ولم يكتف الصديق بهذا الأمر بل أمره بأن يأذن لم يشاء بالرجوع وقال له (ولا تستفتحي بمكاريه) أي غير راغب بالقتال

لان المعركة تحتاج إلى رجال مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه نوعية الرجال لا عددهم^(٢٠) وقد عبر عن ثقته بالله أولاً وبالمقاتلين الذين تحت أمرته بقوله مخاطباً هرمل (جئكم يقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)^(٢١) .

وتجدر الإشارة أن استراتيجية الخليفة أبو بكر ؓ قائمة على فكرة استغلال جذوة الانتصار وحلاوته في معارك التحرير ضد المرتدين في الجزيرة العربية واعتقاد الجازم بأنهم اكتسبوا مهارة قتالية عالية أضيفت إلى مهاراتهم التي اكتسبوها في قتالهم تحت راية رسول الله ﷺ حيث أصبحوا أكثر بأساً وقوة كما أنهم كانوا على درجة عالية من الوعي لما تتطلبه هذه المرحلة من الجهاد بالنفس والنفيس لإعلاء راية الحق و دفاعاً عن الحق .

ثالثاً :- إرباك العدو وحرمانه من عنصر الإعداد والمواجهة

حرص خالد بن الوليد ؓ على منع العدو من التحشد لملاقاته ونجح في إرهاقه وخلق حالة من التذمر بين صفوف جنده ومقاتليه في الوقت الذي أمن هذا الجانب لقطعاته حيث سلك بهم طريقاً جنبهم فيها قدر المستطاع عدم الوقوع في كمائن العدو وقد نجح في تحقيق هذه الاستراتيجية عن طريق العرب الذين عقد معهم صلحاً ليكونوا إدلاء وليزودوه بمعلومات مهمة عن جغرافية المنطقة وأماكن تواجد القطعات العسكرية (المسالح الفارسية في المنطقة) حيث كانوا - أي العرب - يكرهون هرمل شخصياً وكانوا يضربونه مثلاً في الخبث (فيقولون أكثر من هرمل)^(٢٢) حيث وضع خالد خطته العسكرية على وفق المعلومات التي حصل عليها من عيونه وإدلائه ووزع القطعات العسكرية ارتالاً ولم يجعلهم على طريق واحد و لا في وقت واحد فأرسل المثنى بن حارثه على رأس جيش قبل يومين من تحركه وعدي بن حاتم وعاصم بن عمرو أحدهما قبل صاحبه بيوم وخرج هو في آخرهم وواعدهم الحفير * مكاناً للتحشد وكانت هذه الاستراتيجية أي التحشد بأسلوب الخطوط المتقاربة^(٢٣) قد حرم العدو من معرفة هدف الهجوم وفي نفس الوقت حرمانه من إمكانية حشد القطعات على جبهة واحدة وبهذا التخطيط الحكيم شتت خالد

﴿عنه﴾ جيش الفرس ومنعه من المواجهة بكامل قطعاته ومكنه هذا التخطيط أيضا من الوصول إلى مكان التحشد دون الاصطدام بمسالح العدو ونجح في تحديد الزمان والمكان لمواجهة العدو .

رابعاً :- خلق حاله من التذمر والإرهاق في صفوف المقاتلين الفرس

اعتمد خالد على خبرته القتالية ومعرفته الكاملة بقطعات عدوه وتسليحها الثقيل فقرر إجبارها على المسير خلفه لمسافات طويلة حيث حرص على إيقاع العدو في هذا الفخ وإجباره على سلوك طرق وعره وغير معروفة للعدو وكثرة الكثبان الرملية سيما وان العدو لم يألف الصحراء وقساوتها فاضطره إلى الذهاب من كاظمة إلى الحفير والعودة من الحفير إلى كاظمة بكامل معداته الثقيلة في ظروف طبيعية ومناخية صعبة أوصل العدو فيها إلى حالة سيئة جداً من التعب والإرهاق بعد عناء أربعة أيام أمضاها الجيش الفارسي متجولاً في الصحراء وكان هدف خالد من كل ذلك هو التغلب على الفارق العددي لأنه كان يقاتل بثمانية عشر ألف فقط والعدو بأضعاف هذا العدد كما انه فرض على العدو^(٢٤) ساحة المواجهة واجبره على اتخاذ قرارات قلقة وغير متأنية من ناحية أخرى بل وفرض عليه أسلوب القتال وزمانه ومكانه .

خامساً :- اختراق دفعات العدو وإجباره على التقهقر

اعتمد خالد عليه السلام تكتيك عسكري ميداني يعتمد على استخدام عنصر السرعة في الحركة والهجوم على العدو بصوله مباغتة تربك دفاعاته وتزرع الذعر والهزيمة في نفوسهم وكان للخياله دور بارز في هذا المجال حيث أن المهاجمين سرعان ما يستثمرون الإرباك الذي يحصل في صفوف العدو فيقومون بصوله جديدة تجبر العدو عن التقهقر والتراجع في الوقت الذي تخلق حالة من الاندفاع والحماس في صفوف جنده وكان التركيز في ذلك على الجند المقيدين بالسلاسل حيث يكون تقهقرهم سبباً لهلاكهم وهلاك غيرهم من الجند الذين يسقطون بسبب السلاسل ونجح خالد في تحويل استراتيجية العدو بربط جنده بالسلاسل إلى جحيم حيث نجح الخيالة في قطع أعناقهم وأيديهم ونجحت سيوفهم في إيقاع خسائر فادحة في جند الفرس^(٢٥) وكان لهذه المعركة أثراً نفسياً كبيراً على الجيش الساساني في المعارك اللاحقة^(٢٦).

سادساً :- الجانب الاقتصادي

نظراً لطول خطوط إمدادات الجيش الإسلامي وبعدها عن القيادة المركزية في المدينة المنورة واعتماد استراتيجية السرعة والحركة في التنقل حرص خالد بن الوليد عليه السلام على تأمين الأرزاق للجند من جهة وتأمين العلف للخيال المرافقة لجيشه لذلك حرص على معاملة الناس المتواجدين في المدن التي حررها معاملة حسنة وبالطرق السلمية واختص بذلك الفلاحين الذين كانوا أصلاً مستأعين من سياسة هرمز وتعامله السيئ معهم وقد نجح خالد عليه السلام في كسبهم لصالح المسلمين فابدوا استعداداً للتعاون معه فامنوا لجيشه المؤن التي ساعدت على إدامة زخم المعركة وذلك لأن تمويل الجيوش بالمؤن يعد من أولويات القادة المحنكين وتأتي على رأس العمل الإداري للمؤسسة العسكرية ويتوقف عليها نجاح الخطط العسكرية كما أن خالد اتبع سياسة ميدانية تقوم على سرعة جمع الفيء والغنائم والسبي وتوزيعها على المقاتلين وإرسال الخمس إلى الصديق عليه السلام في المدينة المنورة^(٢٧).

المبحث الثالث :- الأعمال الميدانية التي مكنت خالد بن الوليد من الانتصار في معركة الولجة

١- استثمار جذوة الانتصار في ذات السلاسل والمذار.
جاءت معركة الولجة بين معركتين حاسمتين هما ذات السلاسل ومعركة المذار (معركة النهر) حيث نجح خالد عليه السلام ومن تجحفل معه من القادة والمقاتلين من هزيمة الجيش الفارسي في هاتين المعركتين وقتل هرمز قائد الفرس في ذات السلاسل وقارن قائد الفرس في معركة المذار كما قتل قباذ وأنوشجان وهم من القادة الذين كانوا مع هرمز في معركة ذات السلاسل وفروا من القتال .

من هنا نجح خالد عليه السلام في استثمار نشوة الانتصار التي تمتع بها المقاتل العربي المسلم في الوقت الذي وصلت فيه نفسيت المقاتل الفارسي إلى أدنى درجاتها لان قتل ثلاثة من قادة الفرس المشهود لهم بالبأس والشدة قد ترك أثرا نفسية متردية في نفوس الجنود الاعتياديين كما أن عدد القتلى وصل إلى ثلاثين ألف في معركة المذار وحدها مما يعني أن مواجهة الجيش العربي الإسلامي أصبحت بالنسبة للفرس جحيماً لا يطاق واصبح الفرار والهزيمة هي الحالة المتغلبة على ساحة المعركة من قبل الجندي الفارسي^(٢٨) .

٢- الجانب الإداري^(٢٩)

في الوقت الذي تبعثرت فيه جيوش الفرس وخيمت عليهم الهزيمة ، انطلق خالد بن الوليد (رضي الله عنه) إلى تنظيم صفوفه و إعادة حساباته لمعركة جديدة أخذاً بنظر الاعتبار كل ما يمكن استثماره من المعارك السابقة حيث أصبح الجيش العربي الإسلامي من الناحية الإدارية قوياً و متماسكاً بما حصل عليه من غنائم في معاركه السابقة والتي كان لها اثر كبيراً في استعداده القتالي^(٣٠) العالي كما انه اعتمد على العيون والإدلاء لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عن عدوه لاستثمار عنصر المطاردة بشكل سريع يوقع بالعدو خسائر فادحة ويعرقل محاولاته لإعادة تنظيم صفوفه ولا بد من الإشارة إلى أن الفرس كانوا يمتلكون القدرة في مجال الاتصال العسكري حيث كانوا يضعون خطأً من الرجال ذوي الأصوات المجلجلة من ساحة المعركة وحتى المدائن ويعمل في هذا الخط مئات الرجال ألا أن هذا لم

يشفي خالداً (رضي الله عنه) من تحقيق إستراتيجيته

في هذه المعركة حيث وصلت الأخبار إلى كسرى فقرر تكوين جيشين على جناح السرعة و أوكلت مهمة قيادة الجيش الأول إلى القائد الفارسي (الاندرزغر) وكان هذا قائداً عسكرياً محكماً و حاكماً على ولاية خرسان وقد أمر بتحريك الجيش إلى الولجة حيث اجتاز الفرات و اقام معسكره فيها وتجدر الإشارة أن آلاف العرب انظموا تحت لوائه و انظم إليه فلول جيش قارن وبقي في الولجة ينتظر الجيش الثاني الذي يقوده (بهمن بن جاذوية) وكان هذا أيضاً من الشخصيات البارزة وعند وصوله أصبح قائداً للجيشين وكانت ستراتيحية الفرس قائمة على الكثرة العددية و إمكانية سحق جيش المسلمين وتدميره بمعركة واحدة كبيرة وكان لشبكة العيون التي بثها خالد للتجسس على العدو كما أسلفنا دوراً كبيراً فقد نجحوا ليس فقط في جلب الأخبار عن تحركات العدو لا بل نجحوا أيضاً في استمالة كثير من العرب المتواجدين في المنطقة إلى صفوف المسلمين حيث اخبروه بتحركات الجيوش الفارسية أول بأول .

٣- إجبار العدو على الدخول في معركة فاصلة

نجح خالد في وضع ستراتيحية تقوم على منع الجيشين من الالتحام والتجمع وقرر ضرب أحدهما قبل وصول الآخر وكان جيش (الاندر زغر) ينتظر وصول بهمن فقرر خالد إجباره على دخول المعركة قبل وصول جيش بهمن ببضعة أيام حيث اجبر خالد (الاندر زغر) على الاستعداد لمواجهته ذلك أن (الاندر زغر) كان مغروراً بما لديه من القوة العسكرية ويشعر بثقة عالية بالنصر ذلك انه فوجئ بقوة جيش المسلمين

التي لا تتجاوز عشرة الاف ان هذا الموقف الراهن جعل (الاندر زغر) في حالة معنوية عالية ولكنه يجهل من يقاتل لذلك عندما اقدم خالد ﴿عليه السلام﴾ بهجوم عام ^(٣٢) شعر (الاندر زغر) بان موقفه إيجابياً وهذا ما كان يريده حيث كانت خطته قائمة على ضرب الكتل ببعضها مباشرة وهذا ما تحقق له وعلى الرغم من الفارق العددي فان الجيشان أرهاقا وبدأت علامات الإرهاق على جيش المسلمين اكثر لان الجندي الواحد منهم كان يقابل اكثر من مقاتل من الجيش الفارسي فما كان من خالد ﴿عليه السلام﴾ ألا أن قرر اختراق الصفوف والقتال في الخط الأمامي الأول وهذا مما خلق حالة من الاندفاع العالي لدى جنده ورفع من معنوياتهم فضلاً عن انه بارز قائداً محنكاً من جيش الفرس وقتله وكان يعادل ألف رجل في نظر الفرس ولم يكتف بل أمر بغذائه واتكأ عليه وهو يتناول طعامه ألا أن (الاندر زغر) استطاع فراءه وضع جند المسلمين الذي وصل به الإرهاق درجة عالية فقرر الهجوم المعاكس (الصولة) فصمد المسلمون لفترة قصيرة ثم بدا التراجع ببطء و لكن كان تراجعاً منظماً وليس تقهقراً (انسحاب تكتيكي) وظلوا صامدين ولم يغير خالد خطته حيال الموقف حيث كان خالد يتوقع هجوم العدو ونجح في سحبه إلى مسافة مناسبة سمحت له بتنفيذ الخطة التي أعدها لجيش الفرس ^(٣٣) .

٤- أسلوب الكمائن وتطوير العدو وضربه

لم يكن بحساب (الاندر زغر) أن خالد قد بيت له خطة قائمة على وضع قوة من الخيالة من اليمين واليسار كمنت دون علم العدو وظهرت في اللحظة المناسبة عندما اجبر خالد العدو . أغراه للقيام بهجوم جبهي على قلب جيش المسلمين اجبر المسلمين المقاتلين على بذل جهود فوق طاقتهم في قتال يكاد يكون استشهائياً لمنعه من اختراق صفوفهم في هذه اللحظات الحرجة أعطى خالد ﴿عليه السلام﴾ الإشارة إلى جيشه الذي تركه كامناً على مسافة قريبة من أجنحة العدو حيث فوجئ العدو بظهور خيالة الجيش الإسلامي خلفهم من جهة المؤخرة اليسرى للعدو ومن جهة المؤخرة اليمنى للعدو ويعطوا صوته بنداء (الله اكبر) وهم على صهوات جيادهم مخترقين صفوفهم بهذا استطاع خالد أن يخلخل صفوف العدو ويترك فرصة ذهبية لمقدمة الجيش الإسلامي (القلب) والجناحين باستثمار هذا التخلخل للقيام بهجوم عزوم حيث كان خالد على راس القوة الأمامية ونجحت الأجنحة في تطوير العدو بإدامة الاتصال مع الخيالة الذين نجحوا في خلق حاله من الذعر والرعب في صفوف الجيش الفارسي ونجحوا

في قتل العدو الذين بدنوا يفرون إلى المؤخرة أو الذين فروا إلى المقدمة وكانوا يلاقون خالد ومن تجحفل معهم فناله سيوفهم وممكن القول أن المسلمين أصبحت خطتهم الهجوم على جميع الاتجاهات وحرموا العدو من أي محاولة لإعادة تنظيم صفوفه ونجح المسلمون في إدامة التماس من جميع الاتجاهات ونجحوا بأذن الله في تدمير جيش العدو وهرب (الاندر زغر) من ساحة المعركة فاراً باتجاه الصحراء التي لم يخبر مسالكها و أضع طريقه ومات عطشاً^(٣٤) ، وتعتبر معركة الولجة من اعنف المعارك التي خاضها في العراق وقد اعتمد خالد في خطته على ما يلي :-

- ١- نشر الكمائن أثناء الليل ، فما فوت الفرصة على العدو معرفة ذلك .
- ٢- نجح في إخفاء الكمائن عن أنظار العدو كما نجح في وضعهم على أهبة الاستعداد لخوض المعركة بحيث كانت المسافة التي كمنوا فيها تمكنهم من التماس العدو بأقصر وقت .
- ٣- عندما نشبت المعركة كان قادة الكمائن على يسار ويمين العدو قد هينوا مقاتليهم من الخيالة على على ظهور الخيل استعداداً لتلقي الأوامر بالهجوم في اللحظة التي يشاهدون فيها إشارة خالد ﷺ وهذا ما حصل فعلاً حيث هجمت الخيالة بخطين هجوماً صاعقاً عن مؤخرة العدو ولقد لعبت السرية والكتمان التي اعتمدها خالد ﷺ دوراً مهماً في نجاح الخطة التي رسمها التي تعتمد على عملية التفاف واسعة من قبل الجيش الإسلامي وقد حقق خالد خطته بكل وقائعها وتفصيلها ويمكن القول أن خالداً ﷺ قد استهدف أمور عدة .

أولاً: أغراء العدو وخلق حالة من النشوة والانتصار تجعله يبسط المعركة ويستهيئ بجيش المسلمين وكان ذلك على ارض الواقع .

ثانياً: نجح خالد في المناورة بالقطعات في ارض المعركة وهذا ما لم يحسب له العدو حساباً حيث لم يتوقع كمائن المسلمين .

ثالثاً: السرية التامة وتنفيذ الأوامر من قبل القادة الميدانيين لجيش المسلمين ومن هم تحت أمرتهم كان له اثراً في تحقيق النصر .

الخاتمة

اظهر البحث عبقرية خالد بن الوليد الفذة وقدرته على فهم العدو ووضع الخطط العسكرية التي تؤمن الانتصار عليه في أول صدام عسكري مسلح بين جيش المسلمين وجيش الفرس آخذاً بنظر الاعتبار الطريق إلى المعركة وتشكيل الجيش وخفة الحركة والتنقل والجانب الإداري والاستخباري وكسب سكان المدن بالطرق السلمية ليكونوا إلى جانبه أو تحيدهم على أقل تقدير ليقفل العباء على جيشه خلال مروره بمدنهم وقراهم وقد انحاز بالانضباط العالي واخذ بنظر الاعتبار نوعية المقاتلين لا عددهم ملتزماً بكل ما أمر به الصديق (عليه السلام) في هذا المجال وكان يعد للمعركة أعداداً عالياً ويحسب كل الاحتمالات كما انه ركز على إرهاب العدو لمعرفة بتسلية الثقيل الذي يرهق قطعاته ويخلق حالة من الانهيار المعنوي والجسدي في الوقت الذي حرص على التجهيز الخفيف وكان قدوة فذه ضرب المثل الأعلى لجنده حيث كان يتواجد في الخطوط الأمامية وكان أول مبارز لقادة العدو وحرص على إجبار العدو على الدخول معه في المعركة في المكان والزمان الذي يحدده ولم يترك أسلوباً أو خطة إلا ووضعها في الحسبان هذا ما أعانني الله عليه فان وفقت فبعونه وان قصرت فمن نفسي وفوق كل ذي علم عليم .

الهوامش

- ١- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى (بيروت - ١٣٧٦ هـ) : ٣ / ٣٩٤ .
- ٢- ابن أثير ، عز الدين أبي الحسن (ت - ٦٣٠) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (طهران - ١٣٧٧ هـ) ٢ / ٩٣ ، محمود شيت خطاب ، خالد بن الوليد المخزومي ، ط - ٣ ، دار الفكر (بيروت - ١٩٧٣ م) ص ٥٣
- ٣- ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت - ٨٥٢ هـ) فتح الباري بشرح البخاري (القاهرة - ١٣٠١ هـ) : ٧ / ٧٩
- ٤- الاصبهاني ، أبو الفرج (ت - ٣٥٦ هـ) الأغاني ، (بيروت - ١٩٥٥) (١٤) / ١٥٢ ، البلخي ، أبو زيد أحمد بن سهل ، البدء والتاريخ (باريس - ١٨٩٩ هـ) ٥ / ١٦٠
- ٥- عبد القادر بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر (بيروت - ١٩٧٩ م) : ٥ / ١٠٥
- ٦- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسام (ت - ٢٧٦ هـ) الإمامة والسياسة (القاهرة - ١٣٨٣ هـ) : ١ / ٢٤
- ٧- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت - ٣١٠ هـ) تاريخ الطبري ، تح - محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٩) ٣ / ٣٧٨
- ٨- ابن سيد الناس ، (ت - ٧٣٤ هـ) ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ٢ / ١٦٢ - ١٦٣ .
- ٩- الطبري ، المصدر السابق : ٣ / ٣٤٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر (بيروت - ١٩٧٨ م) : ٢ / ٢٦٢ .
- ١٠- الطبري ، المصدر السابق : ٣ / ٣٤٣ ، ابن اعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد ، الفتوح (حيدر أباد - ١٩٦٨ م) ص ٩٠
- * اليمامة :- هو بلد كبير ، فيه قرى وحصون وعيون ونخل وكان اسمها أولاً جوا ، ابن عبد الحق ، صفي الدين بن البغدادى (ت - ٧٣٩ هـ) مرصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع ، تح - علي محمد البجاوي ، دار المعرفة (بيروت- لات) م ٣ / ١٤٨٢

١١- البلاذري ، أبي الحسن ، فتوح البلدان ، (لبنان - ١٩٨٣) ص ٢٤٣
ابن الأثير ، المصدر السابق ٢ / ٢٦١.

* سورة الفتح ، الآية ٣٦

١٢- الأزدي، محمد بن عبد الله ، تاريخ فتوح الشام ، تح - عبد المنعم
عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠ ، ابن الأثير ، المصدر السابق :
٢ / ٢٦١

١٣- الطبري ، المصدر السابق : ٣ / ٣٤٧ ، ابن كثير ، أبو الفدا عماد
الدين إسماعيل (ت - ٧٤٧ هـ) ، البداية والنهاية (بيروت -
١٩٨٨ م) : ٦ / ٣٤٢ - ٣٤٥
١٤- الطبري ، المصدر السابق : ٣ / ٣٤٧

* أليس الموضع الذي فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في
أول أرض العراق من ناحية البادية وقيل قرية من قرى الأنبار
، ابن عبد الحق ، مرصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع ،
م ١ / ١١٣

• خفان : بالفتح ثم التشديد واخره نون : موضع قرب الكوفة ،
فوق القادسية ، ابن الحق ، مرصد الاطلاع عن أسماء
الأمكنة والبقاع ، م ١ / ٤٧٤

١٥- البلاذري ، فتوح البلدان : ص ٢٤٤
١٦- البلاذري ، فتوح البلدان : ص ٢٤٥-٢٤٧ ، الطبري ، المصدر السابق
: ٣ / ٣٤٧ - ٣٤٨

١٧- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم القاضي (ت - ١٨٢ هـ) ،
الخراج (بيروت - ١٩٧٧ م) ، ص ١٤١-١٤٢
١٨- الطبري ، المصدر السابق : ٣ / ٣٤٦
١٩- نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ، مطبعة سعد
(بغداد - ١٩٦٥) ص ٢٦٠-٢٦١

* الابلّة : مدينة كانت قرب السفن القادمة من الصين ، الطبري
، المصدر السابق ٣ / ٩٣ وهي واقعة جنوب البصرة بمسافة ١٥
ميل وجنوب الخصيب بميلين ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان
: ١ - ٩٨

٢٠- كمال احمد محمود ، الطريق إلى المدائن ،
ط ٣ (بيروت ١٩٧٧) ص ٣٣٦ ، محمد احمد حسونة ، اثر العوامل

الجغرافية في الفتوح الإسلامية ، دار النهضة (مصر - لات) :
ص ٢٢

٢١- الطبري ، المصدر السابق : ٣/٣٤٦

٢٢- البلاذري ، المصدر السابق : ص ٢٤٤ ، الطبري ، المصدر السابق :
٣/٣٤٨

* الحفير : أول منزل من البصرة لمن يريد مكة ، ياقوت الحموي ،
معجم البلدان : ٣/٧٣

٢٣- الطبري المصدر السابق : ٣/٣٤٨

٢٤- عباس محمود العقاد ، عبقرية خالد ، ط ٣ ، (بيروت - ١٩٦٩)
ص : ١٢٠

٢٥- احمد كمال محمود ، المصدر السابق : ص ٣٣٦

٢٦- عبد الرحمن زكي ، علم النفس العسكري ، رسائل الثقافة الحربية
العدد ٢٥ ، ص ١٧

٢٧- الطبري ، المصدر السابق : ٣/٣٥٠ .

٢٨- الطبري ، المصدر السابق : ٣/٣٥١-٣٥٢ ، ابن الأثير ، المصدر
السابق : ٢/٢٦٣ ، عباس محمود العقاد ، المصدر السابق
ص ١٢١ .

٢٩- الطبري ، المصدر السابق : ٣/٣٥٠-٣٥٤ .

٣٠- الطبري ، المصدر السابق : ٣/٣٥٠ .

٣١- الطبري المصدر السابق ٣/٣٥٣

٣٢- الطبري المصدر السابق : ٣/٣٥٣-٣٥٤ ، مصطفى طلاس سيف
الله خالد بن الوليد ، ط ٣١ ، (دمشق - ١٩٩٣) ص ٢٣٠

٣٣- مصطفى طلاس ، المصدر السابق : ص ٢٣٣-٢٣٤ .

٣٤- الطبري ، المصدر السابق : ٣/٣٥٤-٣٧٢ ، ابن الأثير، المصدر
السابق : ٢/٢٦٣-٢٦٤ .

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير ، عز الدين ابي الحسن (ت - ٦٣٠ هـ) .
- ١- اسد الغابة في معرفة الصحابة (طهران - ١٣٧٧ هـ) .
- ٢- الكامل في التاريخ ، دار الفكر (بيروت - ١٩٧٨ م) .
- ابن اعثم الكوفي ، ابو محمد احمد بن محمد (ت - ٣١٤ هـ) .
- ٣- كتاب الفتوح (حيدر اباد - ١٩٦٨ م) .
- الازدي ، محمد بن عبد الله .
- ٤- تاريخ فتوح الشام ، تح - عبد المنعم عامر ، مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠ .
- الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت - ٣٥٦ هـ) .
- ٥- الأغاني (بيروت - ١٩٥٥ م) .
- البلاذري ، ابي الحسن احمد بن يحيى (ت - ٢٧٩ هـ) .
- ٦- فتوح البلدان (لبنان - ١٩٨٣) .
- البلخي ، ابو زيد احمد بن سهيل .
- ٧- البدء والتاريخ (باريس ١٨٩٩ م) .
- ابن حجر ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت - ٨٥٢ هـ) .
- ٨- فتح الباري بشرح البخاري (القاهرة - ١٣٠١ هـ) .
- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت - ٢٣٠ هـ) .
- ٩- الطبقات الكبرى (بيروت - ١٣٧٦ هـ) .
- ابن سيد الناس ، (ت - ٧٣٤ هـ) .
- ١٠- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، ط ٢ ، ١٩٨٠ .
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت - ٣١٠ هـ) .
- ١١- تاريخ الطبري تح - محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٩ م) .
- ابن عبد الحق ، صفي الدين بن البغدادي (ت - ٧٣٩ هـ) .

١٢- مرصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع ، تح -علي محمد البجاوي ، دار المعرفة (بيروت - لات) .

ابن قتيبة ، ابوم محمد عبد الله بن مسلم (ت- ٢٧٦هـ) .

١٣- الامامه والسياسة (القاهرة - ١٣٨٣ هـ) .

ابن كثير ، ابو الفدا عماد الدين اسماعيل (ت- ٧٤٧ هـ) .

١٤- البداية والنهاية (بيروت - ١٩٨٨ م) .

اليقوبى ، احمد بن ابي يعقوب (ت- ٢٩٢ هـ) .

١٥- تاريخ اليعقوبى، بيروت - دار صادر

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم القاضي (ت - ١٨٢ هـ) .

١٦- والخراج (بيروت - ١٩٧٧ م) .

المراجع الحديثة

احمد كمال محمود ،

١٧- الطريق الى المدائن ، ط٣ (بيروت - ١٩٧٧) .

عباس محمود العقاد ،

١٨- عبقرية خالد ، ط٣ (بيروت - ١٩٦٩) .

عبد الرحمن زكي ،

١٩- علم النفس العسكري ، رسائل الثقافة الحربية ، العدد ٢٥

عبد القادر بدران ،

٢٠- تهذيب تاريخ ابن عساكر (بيروت - ١٩٧٩ م).

محمد احمد حسونة ،

٢١- اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ، دار النهضة

(مصر - لات)

محمود شيت خطاب ،

٢٢- خالد بن الوليد المخزومي ، ط٣ ، دار الفكر (بيروت -

١٩٧٣)

مصطفى طلاس ،

٢٣- سيف الله خالد بن الوليد ، ط٣ (دمشق - ١٩٩٣) .

نعمان ثابت ،

٢٤- الجنديّة في الدولة العباسية ، مطبعة سعد (بغداد -
١٩٦٥)